

اللغة العربية على ألسنة المصريين

مقال للدكتور حامد طاهر

نشر على بوابة اليوم السابع

بتاريخ 13 مايو 2013

خلال الفترة الانتقالية (16 شهرا)، ظهر على شاشات التلفزيون الحكومي، كما على القنوات الفضائية المصرية، العديد من الشخصيات المصرية البارزة التي راحت تحلل الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية في مصر، وكانت المسألة أشبه بتظاهرة كلامية كبرى قام كل واحد أو واحدة بعرض رأيه، أو وجهة نظره، أو انطباعاته الشخصية، وكانت المفاجأة بالنسبة لى، أن أرصد كما هائلا من الأخطاء اللغوية التي تقع فيها تلك الشخصيات، دون أن يتنبهوا إلى ما يقعون فيه، وكان الخطأ اللغوي يصل أحيانا إلى حد (جر المفاعل) و (لأنصب المجرور)، ومن الغريب أن بعض هذه الشخصيات ممن يوجدون في مناصب هامة، تقتضى القراءة والكتابة بصورة صحيحة، ووصل لى الحال إلى حد أنني كدت أتصل بالقنوات التي يتحدثون فيها لأقول لهم أن يتحدثوا بالعامية بدلا من العربية الفصحى التي لايجيدونها على الإطلاق، أو على الأقل يقومون باللجوء إلى العامية الأكثر مكررا، وهي تسكين أو احر الكلمات بدلا من كسر القواعد التي نعلمها لأبنائنا في المدارس، وأنا هنا لا أكاد أستثنى أحدا من المرشحين السابقين لرئاسة الجمهورية، ولما السادة القضاة المبجلين، ولما المحامين الذين يترافعون في المحاكم، ولما الإخوة الإعلاميين الذين يحترفون مهنة الكتابة، مع أن القاعدة تقرر أن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، وإذا لم يتناسق أحدهما مع الآخر فإن الأمر يكون مختلا، فاللغة ليست سوى وسيلة تعبير عما يحاول الفكر أن يبوح به للأخرين، وحين تخرج اللغة معتلة، ومضطربة، ومتكسرة، فإن الفكر المرتبط بها لا يبعد عن ذلك، وقديما قال الفيلسوف الفرنسي "ديكارت": إن الفكرة الصحيحة تكون دائما واضحة، ومعنى ذلك أن الكلام إذا كان منظما، ومحددا، ودقيقا، فإنه يعكس بالضرورة فكرا منظما ومحددا ودقيقا.

المأساة هنا، أن أحدا لاينتبه لخطورة فساد اللغة على ألسنة المصريين، وحتى المجمع اللغوي العريق في القاهرة لايكاد يحرك ساكنا أمام هذا الأمر، بل أنه صامت كعادته صمت القبور!، ونفس الحال بالنسبة إلى مدرسى اللغة العربية وأساتذتها المنتشرين في مختلف المدارس والجامعات، لانكاد نجد لأحد منهم شكوى مما يحدث أو تنبها إلى ماينبغى أن يكون.

ونعود فنسأل: ما الذى جعل اللغة العربية الفصحى تتهاوى بهذا الشكل على ألسنة أبنائها؟، هل هو أسلوب التعليم؟، أم جهل القراءة؟، أم ضعف الثقافة؟، أم نقول أخيرا أن السبب يرجع إلى الاستعمار الغربى الذى حارب اللغة العربية طويلا؟، وبعد رحليه من البلاد لم يستطع أهلها أن يعيدوا الأمور إلى نصابها!.

إن كل بلد فى العالم يحرص على لغته، ويعلمها بجدية لأبنائه، ويحترم قواعدها، ويبدع فى ازدهار أساليبها، ولم أجد مثل أبناء العربية فى العصر الحاضر يهملونها بهذا الشكل.. والله المستعان.